

نص الخطاب الذي ألقاه صاحب الجلالة لدى زيارته لوزارة البريد والبرق والهاتف

السيد محمد الفاسي الحلفاوي

اننا لجد مسرورون بوجودنا بين أسرة وزارة البريد والتليفون والتلغراف تلك الأسرة التي يجهل عنها المغاربة الشيء الكثير بالرغم من أنها تقوم بدور ليس مهما فحسب بل حيويا بالنسبة للنشاط اليومي الفردي أو نشاط المصالح أو نشاط الوزارات أو النشاط الجماعي للدولة أو الأمة المغربية.

فكيفما كان الحال فالمغرب بالنسبة لبلاد افريقية أو بلاد عربية أخرى يتوفر ولله الحمد على جهاز سلكي ولاسلكي وراديوفوني وجهاز للمواصلات يجعله في مقدمة الدول التي أحرزت على استقلالها منذ أمد غير بعيد. وسبب ذلك هو أن المغرب دولة عربية والعرب كانوا يعيرون أهمية للمواصلات وللبريد؛ فنحن نعلم مثلا ان أول من أسس البريد من الدول العربية هي الدولة الأموية في عهد معاوية أي في القرن السابع بعد الميلاد؛ بيد أن البريد لم يؤسس بأوربا وبفرنسا على الأخص الا حوالي القرن الثاني عشر أيام الملك لويس الحادي عشر.

فاهتمام العرب اذن بالمواصلات وبالبريد هو الذي يبرر اهتمام الشعب المغربي والدولة المغربية والشخصية المغربية بمشكل المواصلات ومشاكل البريد.

وهناك شيء آخر تمتاز به هذه الوزارة — ومن واجبي أن أهنئها عليه — هو كونها من بين الوزارات التي تتوفر على أكبر عدد من الموظفين: ان لديها آلاف الموظفين كبارا وصغارا تقنيين وغير تقنيين ومع ذلك فانها تسير في هدوء وصمت ونظام، الشيء الذي يضمن لها حسن السير.

واني اهنىء بصفة خاصة الاطارات النقابية لهذه الوزارة هذه الاطارات التي أدركت بعد شهور قلائل من اعلان الاستقلال دورها التربوي كما أدركت الدور الحيوي والاستراتيجي الذي تلعبه وزارة البريد فكانت لها أحسن معين بدلا من أن تكون لها أكبر معرقل، مما يدل مرة أخرى على نضج هذه الاطارات البريدية كما يدل مرة أخرى على اهتمام المغاربة كيفما كانت طبقاتهم بحسن تمشي وتسيير هذه المصلحة.

نعم، ان عمل الوزارة عمل خفي فكل من أخذ التليفون أو فتح جهاز راديو أو أرسل برقية أو ذهب الى مستودع الشيكات أو الى مركز البريد ليستعمل الهاتف أو يبعث ببرقية أو يستخرج نقودا فانه لا يتصور الاتعاب والمحن التقنية والسهر المستمر التي يستلزمها عمله البسيط ذلك — ان هذا العمل البسيط يستلزم من لدن جميع موظفي البريد والتلغراف والتليفون الدقة والمواصلة في العمل اذ لا يعيرون اهتماما للراحة ولا يفرقون بين الليل والنهار ولا بين الشتاء والصيف.



كما أن ذلك العمل البسيط يستلزم من لدن أولئك الموظفين أن يكونوا باستمرار في خدمة المواطن عند ارساله برقية، أو تسلمها، وان يكونوا نزيهين فيما يرجع الى عدم فتح المراسلات أو الرسائل الى أهلها بدون ان تفتح أو تتعرض الى شيءما.

فهذا يتطلب ضميرا مهنيا وسهرا مستمرا على سير المصلحة. بلغني ان صنيعا غريبا في نوعه حدث في البريد ــ نعم اعتبره صنيعا غريبا ــ فلقد اكتشفت وزارة البريد أن أحد موزعي البريد سولت له نفسه ان يترك في بيته نحو الفي رسالة مدة ثلاثة أو أربعة أيام على أن يوزعها حينما تسمح له الظروف بذلك.

اني لا أعتقد أن وزير البريد قد أحال الموظف على المحكمة لأني لا أعتقد ان عمله كان سببه الاخلال بالعمل أو «سابوطاج» (على حد تعبير الاوروبيين) أو سوء نية، انه لم يدرك ان في طي تلك الرسائل ما هو مرتبط بحياة شخص أو زواج شخص أو غير ذلك.

إنه لحدث غريب أن يحتفظ موزع بريد بألفي رسالة لمدة ثلاثة أيام... ولكن نظرا لكون الحدث بلغني وأنا موشك أن أقوم بأول زيارة لهذه الادارة فإني ألتمس من الوزير أن يعيد النظر في ملف هذا الشخص ويخفض من عقوبته ان كانت ثقيلة أو يلغيها ان كانت خفيفة وأطلب له العفو بهذه المناسبة؛ وأرجو من الله ان لا يعيد الكرة وان لا يهمل رسالة في بيته ويتركها ولو لمدة خمس دقائق. اذ الرسائل هي ملك للأشخاص قبل كل شيء وليست لموزعي البريد. والدولة هي التي تسهر على توزيعها.. ان هناك العديد من الناس ــ في الماضي والحاضر ــ يعتقدون نظرا لكون ادارة البريد لم تكن في عهد الحماية الا مكتبا ــ ونظرا لكون وزير البريد لا يشار اليه في لائحة التشريفات كأحد الوزراء المصدرين ــ أقول: ان هؤلاء الناس يعتقدون ان وزارة البريد ليست لها أهمية من الوجهة السياسية.

فلهؤلاء أعلن ان وزير البريد من الوزراء القليلين الأعضاء في مجلس الدفاع الدائم الذي يشمل وزارات أخرى حيث ان المواصلات هي بمثابة العروق في الجسد التي بدونها يستحيل جريان الدم في هذا الجسد ــ كما ان الأوامر اذا لم تعط وتتلق بانتظام وبوضوح فيستحيل على الدولة أن تقوم بأي عمل منتظم في القرن العشرين.

نعم: ان نشاط وزارة البريد مهم بالنسبة للمغرب ولداخل المغرب، غير انه يبدو ان جل الموظفين لا يدركون الدور المهم الذي تلعبه هذه الوزارة فيما يرجع الى مسؤولياتها الدولية.

فالمغرب يقع في ملتقى الطرق وفي موقع ستراتيجي مهم كما أنه أساس المواصلات اللاسلكية والتليفونية بين افريقيا وأوربا وأمريكا وهو عقدة بالنسبة لافريقيا، فإذا كانت هذه العقدة مفتوحة ففي استطاعة افريقيا ان تتصل بالخارج؛ اما اذا كانت معقدة فيستحيل عليها ذلك.

ومن بين المسؤوليات الأخرى الملقاة على عاتق هذه الوزارة والتي يظهر أنها قامت بها أحسن قيام مسألة مساعدة الدول الافريقية المختلفة فيما يخص تجهيزها بالسلكي واللاسلكي؛ فانا جد مسرور ــ وأهنىء وزارة البريد بصفة خاصة عن كونها أتاحت لوالدنا محمد الخامس رحمه الله ــ ان وفى بما واعدنا به الدول الافريقية في مؤتمر الدار البيضاء بعقد صلات ومواصلات سلكية ولاسكية معها.

اذ في ظرف بضعة شهور انتقل موظفو البريد وعلى رأسهم السيد برادة وتوجهوا مرارا إلى جمهورية مالي وكدوا وعملوا في وطن غير وطنهم وتمكنوا بذلك من ربط خط مباشر بين مالي والمغرب؛ وبهذا العمل أعطوا مثلا على أن الدولة المغربية (تلك الدولة التي ربيت على إنجاز وعودها في عهد محمد الخامس رحمه الله) لا

تكتفي بعقد المؤتمرات أو باستدعاء المؤتمرات بل تفي بجميع الوعود والتعهدات التي أخذت على عاتقها أن تقوم بها.

فالمسؤولية الملقاة على عاتق وزارة البريد إذن من نوعين : مسؤولية داخلية وأخرى دولية.

نعم : إن هناك عجزا في هذه الوزارة كما يوجد في الوزارات الأخرى لأن الدولة المغربية لم تحرز على استقلالها إلا في سنة 1956 (أي منذ خمس سنوات) مع أن بعض الدول الشرقية العربية استقلت منذ ثلاثين أو أربعين سنة.

وفيما يرجع إلى المغربة .فلا يجب الاعتقاد أنه من الصالح أن تقتصر على تعريب ظهير أو منشور لانهاء المشكل بل يجب علينا ان نكون موظفين قادرين على تفهمه باللغة العربية أي يجب تعريب وسائل عملنا في الوقت الذي نلقن موظفينا (سواء كانوا تقنيين أو غير فنيين) حسن استعمال تلك النصوص باللغة العربية... وهذا عمل يتطلب سنين وأعواما.

لهذا فإن الجهود التي قامت بها وزارة البريد والتلغراف والتيلفون مجهود سار وجبار ـــ أما المدرسة التي أنشأتها بالرباط فإنها جد مهمة ؛ ومما سرني ان مآت من التلاميذ سيتخرجون منها في السنة المقبلة.... وأهنئها مرة أخرى على مجهودها وأطلب منها أن تضاعفه.

ومما يسرني كذلك ان هذه المدرسة المغربية فتحت أبوابها ومقاعدها لطلاب أفارقة برا بعهودنا ووعودنا.

وهناك مسائل أخرى تعرض أمام مسؤولية وزارة البريد والتلغراف والتليفون.... مسائل لا تتعلق لا بالبريد ولا بالتلغراف ولا بالتليفون بل بالصناديق مثلا والأبناك التي تستعملها.

ان هذه الوزارات لها مستودعات تحتوي على ملايير عديدة من الفرنكات القديمة أو مآت الملايين من الدراهم. ويسرني ان حسابات جديدة تفتح يوميا في صناديقها ؛ فان دل هذا على شيء فانما يدل على حسن سيرها أولا وعلى انه يتحتم عليها أن تبلغ إلى علم جميع المواطنين أنه من الضروري أن يقبلوا على التوفير إذ ما من درهم وفره المغربي الا وقد وفره لصالح استقلال بلاده الاقتصادي.

فليس الاستقلال الاقتصادي ان نبني مدينة بمال أجنبي بل بمالنا وبسواعدنا.

فإذا شيدنا مدرسة بدرهم واحد وكان ذلك الدرهم مغربيا وبساعد مغربي فذاك هو الاستقلال الاقتصادي وذلك أفضل من تشييد مستشفى بملايير أجنبية وفنيين أجانب فبتوفير المغاربة لأموالهم في صناديق الدولة يسهل على الدولة تمويل مشاريعها تمويلا مغربيا صرفا.

إن هناك بالطبع من يقول ان التمويل المغربي الصرف هو أن نضع ما لنا في صناديق الدولة ولكن ما هذا الذي يشاع عن الدولة من عدم نزاهتها في بعض الأحيان في استعمال أموالها ؟

.... ان هذا كله سابق لأوانه وان الدولة أعلى من الأفراد وانها لازالت لم تقل كلمتها في المسائل المطروحة للنقاش... وفي اليوم الذي ستقول الدولة فيه كلمتها ستقولها على لسان ملكها الخارج عن النزعات وعن المشاحنات والمطاحنات والذي سوف ينظر الى مصلحة الدولة بقطع النظر عن فلان وفلان : أني أهيب بالمغاربة ان لا يفتحوا آذانهم لهذه الدعايات المغرضة دعايات تأتي من طرف الأجانب ومن أعداء المغرب



ويشككون المغاربة في نزاهتهم وفي نزاهة موظفيهم وفي مستودعاتهم وصناديقهم ـ أهيب بالمغاربة أن يضعوا الثقة في مواطنيهم اذ لا أحد يستطيع ان يفهم حالتهم النفسية أكثر من إخوانهم.

وأملي أن هذه الوزارة التي تعمل في صمت والتي هي مكلفة بربط المواصلات بين المواطنين وإخوتهم وبين المصانع والمصالح والجهات الأخرى سوف تنهي عملها وتصفي مشكل المنطقة الشمالية من المغرب.

إنه لا يعقل أن تبقى هناك في الشمال بعد خمس سنوات من إعلان الاستقلال شركات أجنبية محتكرة لوسائل المواصلات.

اذن انني أطلب من وزارة البريد والتلغراف والتليفون ان تنكب على دراسة هذا الملف دراسة تمكننا من التمتع نحن والدولة المغربية باحتكار شبكة المواصلات في شمال المغرب وذلك بمثل الحزم الذي واجهت به مشاكلها الفنية ومشاكل مغربة الاطارات ومشاكل ربط الاتصالات بين المدن بوسائل أوطوماتيكية كما هو الحال مثلا بين الدار البيضاء والمحمدية والجديدة وآسفي.

وانتهز هذه الفرصة لاهنيء أسرة البريد والتلغراف والتليفون على الروح الأخوية التي تخيم على أعمالها من أسفل الاطارات الى قمتها كما أشكر الوزير الذي يعمل ويسهر على تشجيع هذه الروح.

فانتم أسرة تتركب من 8.000 موظف لكم حساباتكم الخاصة ومشاكلكم الخاصة ؛ أتمنى ان تبقوا ملتفين حول هدف واحد : خدمة الصالح العام واستمرار الدولة واستمرار مصالح الدولة.... استمرار مصالح الدولة أي يجب على كل موظف أن يعتبر نفسه فوق النزعات وفوق الأشخاص وفوق الأحقاد لا يعمل الا لشيء يسمى بالدولة المغربية شيء يتكون من علم مغربي وحدود مغربية وجنسية مغربية ومن نوع من السماء الزرقاء وأرض خصباء تعطي لأهلها ما تعطي وجبال اسمها الأطلس وبحرين : المتوسط والأطلسي وصحراء....

ان هذه المجموعة من أرض وبحار وجنسية وعلم وحدود هي ما يكون الدولة المغربية التي أرجو من جميع الموظفين ان يستمروا في خدمتها، وذلك لأنه لا مناص لنا من الموت والفناء أما تلك الجبال فستبقى هي هي وان ذلك العلم العالي سيبقى دائما في علوه كما انه لنا الأمل في ان يظل أبناؤنا وأبناء أبنائنا معتزين بتلك الجنسية المغربية التي نحن معتزون بها.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الأربعاء 15 جمادى الأولى 1381 ـ 25 أكتوبر 1961